المحاضرة رقم 08

عنوان المحاضرة: مصادر نقد النقد

عند الحديث عن المصادر التي يستمد منها نقد النقد مادته، نشير إلى منظومة معرفية تمنح الخطاب هويته، وتحدد موقفه، وتبرز مدى قابليته للتوظيف، كما أن مصادر النقد ونقد النقد والتنظير تتسم بالتداخل وتجاوز الحدود التقليدية، حيث يعتمد الناقد على تناول العمل من زوايا متعددة مثل: التحليل النفسي، التاريخي، الاجتماعي، واللغوي والبلاغي والصوتي.

* **المصدر الفلسفي:** يرجع ظهور الفلسفة إلى ما قبل الميلاد، إذ يعرفها الفارابي بأنها" العلم بالموجودات بما هي موجودة" والفلسفة ليست مجرد مجموعة معارف جزئية خاصة، بل هي علم المبادئ العامة، و ليس للفسلفة حدود ترضى بها أو تقف عندها فهي في صلب كل تفكير وفي صميم كل بناء معرفي، ومكركة لكل سؤال حول الإنسان والحياة واللغة والجمال والقيمة والصدق والخيال والتفسير والتأويل والحداثة والالتزام والإيديولوجية، من هنا نستنتج أنه لا يمكن لأي أديب أن يستغني عنها في دراسته لأن" الأدب بكل بساطة غارق فيها وهو أحد مستوياتها في التعبير عن التجربة الإنسانية" ولقد أثرت الفلسفة على النقد الأدبي تأثيرا واضحا لأنها فتحت له فرص التأمل المنظم في أسئلته ومناهجه وأهدافه، وإن علاقة الفلسفة بالنقد أمر مقرر ولعل أول تنظير للشعر تم من خلال إطار في الفلسفة، وأول مرجع تحكم في النقد كان هو المرجع الفلسفي الافلاطوني ثم الأرسطي وأول نظرية للأدب كانت نظرية بمفاهيم فلسفية لغوية.

* **المصدر الجمالي:** ليس للجمال تعريف ثابت لأنه مفهوم شائع في مجال الثقافة وذو نطاق واسع فالجمال مبحث فلسفي مرتبط بالمثال وعنصر بين ثلاثة عناصر تمحورت حولها الجهود الفلسفية منذ أفلاطون وهي الخير والحق والجمال، وعلاقة النقد الأدبي بظهور علم الجمال أو فلسفة الفن أو ما اصطلح عليه بالاستيطيقا منحه مدخلا جديدا ومفصلا لموضوعه وأعطاه العديد من المصطلحات والمفاهيم وحصرت هذه العلاقة ضمن ثلاث مستويات:

* علاقة ضمن سيرورة ثقافية عامة.

* علاقة ضمن سيرورة فلسفية عامة.

* علاقة ضمن نسقية خاصة بعلم الجمال أو فلسفة الفن.

وهذه المستويات الثلاث تبرز فكرة الجمال في النقد عندما يتكلم عن الأدب ومن هنا لازم على نقد النقد أن يضع حدود إبستيمولوجية ذات طابع منهجي.

* **المصدر النفسي:** الأدب ليس لغة فقط بل هو أحد أشكال التعبير الإنسانية يحمل عواطف وأفكار الإنسان عن طريق الأساليب الكتابية من نثر وشعر لتفتح للإنسان أبواب القدرة على التعبير، وعلم النفس هو علم كليات عمله التجريد، فالفنان يعطي للإنسانية وجودها وهو أيضا العلم الذي يدرس السلوك دراسة علمية موضوعية أو يتخذ من السلوك و سيلة لدراسة الخبرات الشعورية واللاشعورية فهو يستدل من السلوك الظاهر للإنسان على ما يحفزه من دوافع وما يشعر به من الانفعالات وما يعتقد من معتقدات وما يمتلك من قدرات واستعدادات، وأشهر مقولة مأثرة للعالم الأمريكي المشهور – وود روث– حين قال"علم النفس بدأ بدراسة الروح، لكن زهقت روحه، ثم أصبح علم العقل لكن ذهب عقله، ثم أصبح علم الشعور وأخشى أن يفقد شعوره" والعلاقة بين الأدب وعلم النفس هي علاقة متشابكة نوعا ما تربط بينهما بشكل متداخل لأن إذا كان علم النفس يهتم بدراسة الشخصية الإنسانية وما يدور بداخلها، فإن الأدب هو أيضا يركز على الدوافع وتأثيرها، لكن رؤية نقد النقد لعلاقة الأدب بمجالها النفسي علاقة طبيعية قبل وجود علم النفس، إذا الحقائق النفسية وجدت قبل علم النفس كما أن الصوغ المعرفي لها قد ظهر منذ بداية الفلسفة قبل أن ينشأ علم النفس في لحظة انقطاع عن الفلسفة ويدخل إلى مرحلة العلم.

هناك العديد من الكتب والتي تحدثت عن علاقة الأدب بعلم النفس ومنهما كتاب– من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده لأحمد خلف الله، ثقافة الناقد الأدبي لمحمد النويهي، حيث يعد الكتاب الأول أول محاولة مثمرة لشرح العلاقة بين الأدب وعلم النفس وعلى أسس موضوعية، والكتاب الثاني زج بالنقد النفسي في مشاكل علم النفس والأعصاب والأعراق ولم يقبل الخلط والالتباس في توظيف المعرفة العلميةعامة والمعرفة النفسية خاصة، ولقد تم تأسيس الكتاب الأول والثاني معا في نفس الوقت وأضاف اتجاها جديد في نقد النقد وتضمن أيضا عناصر التنظير للعلاقة بين الأدب والمجال النفسي ولعلاقة الناقد بهذا المجال.

ومنه لا يمكننا أن نجزم أو نؤكد بأنها بين المصطلحين من النقد التي لا توجد علاقة بينهما أو توجد بينهما لأن هذا عائد للدراسات التي خضع إليهما، لأننا إذا قلنا لا وجود للأدب والفن في الحياة فنحن نعيش إذا عالم لا ألوان له لأنهما أساس للنمو الإنساني الروحي.

* **المصدر اللغوي:** إن في دراسة الأدب أو التنظير اللغوي تسمية منهج مثل المنهج اللغوي تتطلب إجباريا الانتقال من الوعي باللغة في حالتها الطبيعية إلى مستوى الوعي بها بقواعد ومبادئ نستنتجها من علم اللغة واللسانيات حاليا، ومن هنا نستنتج أن علم اللغة –قواعده ومبادئه ونظرياته ونماذجه أدى إلى أن يقوم –نقد النقد–، ونجد أيضا أن علم اللغة وفروعه مدخلا من المداخل التي تتيح للباحث والدارس مراجعة تاريخ النقد والتحقيق فيه والتنظير له خطابات المتون الأربعة التي ذكرها الدغمومي في كتابه نقد النقد والتي آلت على روحها القيام بما يلي:

- مراجعة التراث في علاقته بالأدب والنقد.

- محاولة المصالحة بين النظريات النقدية والنظريات الحديثة.
- التفريق والتقريب بين النظريات الأدبية اللسانية المعاصرة.
- تنظير النقد والأدب في ضوء العلاقة اللغوية.

والمرجع اللغوي لم يكن على قدرة كاملة بأن يغير طريق النقد أو يستنبط وعي جديد حتى أنه انتظر عقدين كاملين من الزمن أو أكثر ليرجع بحلة جديدة وقوية له وعي متميز مع بداية تسرب ما يعرف بالفكر الأسلوبي والبنيوي.

وعليه فقد حظي المرجع اللغوي باهتمام العديد من الدارسين والنقاد والباحثين حيث قاموا بإنجازات نقدية وأعمال نقد النقد أيضا وفتح طريق البحث والاستقصاء في المادة النقدية سواء كانت جديدة في الماضي أو في الحاضر، وأيضا ترتبت وجود اتجاهات في متن نقد النقد والتنظير كانت سبب في التقاء المرجع اللغوي وهي:

- الاتجاه البنيوي.
- الاتجاه الأسلوبي.
- الاتجاه السيميائي.

المصدر السوسيولوجي: ينفتح النقد الأدبي على جملة من الكيانات المعرفية في علوم محتلفة ومنها –علم الاجتماع أو السوسيولوجيا – هو دراسة الحياة الاجتماعية وتطور هذا العلم في أوائل القرن 19م ويهتم بسلوكنا ككائنات اجتماعية، والسوسيولوجية " علم أحوال الإنسان في المجتمع، وأحوال المجتمع في حياته البشرية الطبيعية والعادية، فدخل هذه الصفة تتوحد عدة توجهات واقعية فيصبح ما يسمى النقد الواقعي أو النقد الإيديولوجي أو الاجتماعي تنويعات تصب في مجرى السوسيولوجيا"

وسوسيولوجيا الأدب عرفت تغيرات حاولت أن تتجاوز النظرة إلى الأدب من زاوية واحدة من تكوينه فحاولت بذلك أن تقيم علاقات مع علم النفس والبنيوية وغيرها من العلوم والنظريات التي اهتمت بالأدب ظاهرة ونصوصا، وتشمل لكل علاقة بين الأدب وشروط إنتاجه المادية والبشرية وهي المرجعية الأم التي تشتغل ضمنها المصطلحات والمفاهيم وهي تعتمد على المبادئ التالية:

1/ **ربط الأدب بالواقع:** ينظر إليه من مواقع مختلفة بتقدير مساحة الواقع ونوعيته أو واقع طبقي أو واقع اجتماعي تاريخي أو واقع حالات سياسية.

2/ جعل علاقة الأدب بالواقع علاقة تفسير في ضوء فلسفة محددة تخدم المجتمع وتعطي العلاقة المذكورة معناها و و ظيفتها.

3/ تفسير العلاقة القائمة بين الأدب والواقع يفرض على النقد تمثل هذه العلاقة، علاقة انعكاس وتأثير أو علاقة تماث ل، أو علاقة إنتاج وفعل داخل المجتمع، وتحدد من الذي ذكرناه أعلاه: الأدب في المجتمع، المجتمع في الأدب

4/ الإلحاح على المضمون الأدب ومن ثم وظيفته وعلى النقد أن يحرص على مجادلة الأدب سلبا أو أيجابا في ضوء هذه الوظيفة التي تبقى بصفة عامة وظيفة إنتقادية وتوجيهية إذا مضمون الأدب في النقد السوسيولوجي يعني أن الأد ب تعبير عن الوعي وبالتالي هو موقف إيديولوجي مرتبط بالواقع الاجتماعي والطبقي والسياسي.

5/ ما يضبط المبادئ السابقة يفرضه وجود قواعد وقوانين شاملة للحياة ولكل أشكال الممارسات وأنواع التفكير وهذه القـ واعد والقوانين من صنع العلم كما تعبر عنه الفلسفة المادية، الجدلية/ المادية التاريخية.

6/ إن النقد السوسيولوجي قد دخل العالم منذ الحرب العالمية الثانية ظهر عند رواد كثيرين كانوا يشتغلون بالأدب أمثا ل: طه حسين، سلامة موسى، لويس عوض، وأصحاب التيار الماركسي أمثال: حسين مروة، جابر عصفور... ولقد ك انت إرهاصات النقد السوسيولوجي باهتة في بدء ومعبرة عن بدايات الإطلاع على ما يسمى بالنقد الواقعي، وهناك جمل ة من العناصر تحدد المرجعية السوسيولوجية التي تقف وراء النقد العربي وتعمل في متن نقد النقد وهي:

- ✧ أن طغيان المثاقفة لم يمنع هذا التوجه السوسيولوجي الاتصال المباشر بالنصوص وبالواقع وبالرغم مما يبدو من تعسفات وتجاوزات.
- ✧ التوجه السوسيولوجي عاش مفارقة صعبة حين اعتمد فلسفة وهي من إفراز حقائق واقع اجتماعي مختلف تنظمه أ سس وعوامل مادية وتاريخية وسياسية عرفها العالم العربي.
- ✧ بالرغم من أن الفلسفة المادية أرادت أن تكون فلسفة إنسانية فإنها نسيت أن الفكر كما تدعي ترجمة إلى وعي اجتم اعي محدد هو بنية فوقية لواقع تحتي بما فيه فكر الفلسفة الماركسية، الواقعية نفسها.
- ✧ إن الفلسفة التي اشتغل عليها النقد السوسيولوجي العربي كما سيتضح ظلت مجرد مبادئ عامة ولم تستطع أن تفرز لها في التنظير خصوصية ما.
- ✧ خدم هذا الواقع الإيديولوجي أكثر مما خدم موضوعه الأدبي ورسخ فعل التثاقف أكثر مما رسخته مرجعيات أخرى.
- ✧ نشر تعريفات للأدب والنقد، وساهم بصورة واضحة في محاولات تنظير للنقد تبدو أكثر قوة من الناحية الثقافية.

- ✧ أمام هيمنة هذا الاتجاه السوسيولوجي أصبح نقد بدوره واقعيا بحيث صار بعض النقاد يدرسون الموضوعات النقدية بتكييفها حسب متطلبات الوعي التاريخي، وصار يفسرون حياة النقد بقوانين المعرفة المادية التاريخية، وقاموا بإنجازات بهذا الصدد تؤرخ للنقد حينا، وتدخل معه في جدال عنيفا في بعض الأحيان وخصوصا مع الاتجاهات النقدية المعارضة، وهذه الإنجازات صارت أمام طريق مسدود تبحث عن منافذ لها وجدتها إلا في نقط تقاطع، وتلفيق بالعودة إلى اختيارات كانت شبه محرومة مثلا الشكلانية ويظهر ذلك عند الجيل الثاني من النقاد.
- ✧ أما إستراتيجية الذين يعملون ضمن هذا المرجع فهي إستراتيجية تتوزع بهم عمليا وتنسب بعضهم – بصدد نقد النقد– إلى خطاب التحقيق كما أن بعضهم يبقى حريصا على مراعاة التاريخ مع إدعاء القدرة على التنظير.